



الدوافع و تصورات المستقبل للعاملين/ات في المجتمع المدني

ورقة مبنية على استبيان العاملين/ات في المجتمع المدني في شمال شرق سوريا
أيلول/سبتمبر ٢٠٢٢

منار التيزيني

استشارية و باحثة سورية مستقلة، مع خلفية اكااديمية في علم النفس و علم النفس السريري.

مقدمة:

لا يمكن فهم السياق الحالي لعمل منظمات المجتمع المدني في سوريا دون ربطها بسياقها التاريخي. حيث يعتبر مفهوم المجتمع المدني مفهوماً حديثاً نسبياً لم يظهر بشكل واضح إلا بعد عام ٢٠١١ لأسباب عديدة أهمها غياب الحياة السياسية في سوريا. ونتيجة لذلك فقد واجهت تجربة المجتمع المدني ومازالت تواجه العديد من التحديات والإشكاليات المتعلقة بشكل وجوه هذا العمل. ينطبق هذا السياق على كل مناطق ومدن سوريا بما فيها مناطق شمال شرق سوريا، التي واجهت ومازالت تواجه العديد من التحديات والمشكلات على صعد مختلفة، نتيجة التغيرات السياسية والتدخلات العسكرية المتتالية التي حصلت في العشر سنوات الأخيرة، والتي أثرت بدورها على عمل هذه المنظمات.

بناءً على ذلك واستناداً على دراسة بحثية قامت بها مؤسسة امباكت، مبينة على استبيان يتكون من مجموعة محاور تتضمن كل منها مجموعة من الأسئلة، بالإضافة لعدد من المقابلات أجريت في كل من الرقة ودير الزور والحسكة، فإن هذه الدراسة هدفت إلى تشكيل فهم وتصور أكثر دقة عن واقع مساحة وخصائص المجتمع المدني من وجهة نظر العاملين والعاملات فيه. ولعل فهم خصائص هذا المجتمع يستدعي تناولها من نواح متعددة، أحدها هو فهم الأسباب التي لعبت دوراً في اختلاف الدوافع الشخصية للعمل في منظمات المجتمع المدني، والبحث في العوامل التي تجعل هذه الدوافع متباينة، وكيف يؤثر ذلك على التصورات المستقبلية لدى العاملين، وحقيقة مواقفهم من هذه المؤسسات.

الدوافع الشخصية للعمل في منظمات المجتمع المدني:

وفي سؤال حول تلك الدوافع كانت - بحسب الدراسة - الاستجابة الإنسانية والرغبة بإحداث تغيير مجتمعي أولى دوافع العمل في منظمات المجتمع المدني بنسبة ٤٧% من إجابات المشاركين، حيث أن الحالة الإنسانية والتنموية التي مرّت وتمرّ فيها المنطقة شكّلت ضرورة للاستجابة لهذه الحاجة، بالإضافة إلى إيمان غالبية العاملين في هذه المنظمات بأهمية التغيير المجتمعي ونشر قيم المواطنة وإشاعة الثقافة المدنية، الذي تشكّل في وعي جمعي على مدار ١١ سنة دفع نحو تبني هذه المبادئ والإقرار بأهميتها، ومن هناك أصبحت الحاجة ملحة لتأسيس بيئة عمل مدني حاضنة تؤمن بهذه المبادئ، خصوصاً مع خيبة الأمل التي رافقت العملية السياسية وما رافقها من تدخلات عسكرية عديدة، جعلت مسار العمل المدني والتغيير الذي يحدثه هو الحل في رأي البعض. مدير تنفيذي في منظمة محلية في القامشلي عبّر عن ذلك بقوله:

" العمل المدني كان بالنسبة لنا عزاء عن فشل العمل السياسي، بل في الحقيقة جاء ليحاول إصلاح ما خربته العملية السياسية والتدخلات العسكرية. الكثير منّا اليوم يجدون أن الحل سيبدأ من وعبر هذه المنظمات والعاملين فيها المؤمنين بحقوق الإنسان أولاً".

لم يكن -بحسب الدراسة- دافع التعلم والمعرفة دافعاً أقل من السابق، حيث أظهرت النتائج بأن ١٦% من المشاركين يعتبرون بأن مساحات العمل المدني بقطاعاتها المختلفة تقدم فرص عمل قائمة بشكل أساسي على التعلم وإنتاج المعرفة ونقلها للآخرين، ما جعل الكثير من الشباب السوري الذي اضطر مرغماً إلى عدم إكمال تعليمه الجامعي وغرق في حالة من الإحباط، أن يحصل على فرصة جديدة. تعاملت المؤسسات غير الحكومية مع الإشكاليات التعليمية محاولة إيجاد حل لها، عبر التركيز على الخبرات والرغبة بالمشاركة بالتغيير المجتمعي واكتساب المعرفة، ومن جهة أخرى بناء مسيرة مهنية تمكنه في المستقبل من التأسيس مع آخرين لعمل مدني محلي. أشار موظف في منظمة محلية في منطقة الرقة:

"إن العمل في منظمات المجتمع المدني هو عمل حر خارج عن البيروقراطيات المترسخة في العمل الحكومي، مما أعطانا فرصة وأمل جديد في التعلم والإنتاج".

يأتي الدافع الآخر بحسب ما عبّر عنه المشاركون في الدراسة من الرغبة بالحصول على دخل مناسب وثابت نسبياً الذي شكل ٧% من استجابات المشاركين، حيث أن معظم العاملين في هذه المنظمات كان لديهم مهن أخرى سابقة تأثرت بشكل من الأشكال بالوضع السياسي وبشكل خاص الاقتصادي. برزت المنظمات بالنسبة للعاملين فيها كبديل بشكل أو بآخر عن مساحات العمل الأخرى، قدمت فرص جديدة بمسميات ومضامين أكثر تطوراً وانفتاحاً، مع اعتبار لا يقل أهمية عن ذلك وهو الدخل المادي الثابت نسبياً القادر على سد الفجوة بين غلاء المعيشة والوضع الاقتصادي المتردي. أكد ذلك موظف في منظمة محلية في دير الزور:

"في كثير من الأحيان أفكر بإيجاد عمل أكثر أماناً من الناحية المادية، على الرغم من أن عودتي إلى مهنتي الأساسية صعب جداً بسبب انقطاعي عنها لسنوات. المنظمات سيف ذو حدين، فهي لا تضمن لك البقاء، وفي الوقت نفسه تجعلك عالقاً فيها من نواحي عديدة، لا يمكنك بسهولة الانتقال لعمل آخر مختلف".

وفقاً لذلك فإن الكثيرين يحاولون تأمين عمل جانبي أو تأسيس عمل خاص يحميهم من خطر توقف دخلهم المادي نتيجة توقف المشاريع. ولكن ذلك وبحسب الغالبية لن يمنهم -بحسب الدراسة- من محاولة الاستمرار وإيجاد بدائل تمكنهم في البقاء ضمن بيئة العمل هذه، لأنها بيئة ملائمة للتطور والمعرفة وطريق أساسي نحو إحداث تغيير فكري مجتمعي يُحسّن من شكل الحياة في المناطق التي يعيشون فيها.

التصورات المستقبلية:

تعتبر الدوافع السابقة من العوامل الرئيسية -بحسب الدراسة- التي تساهم في تشكيل تصورات المستقبل للعاملين في منظمات المجتمع المدني في المناطق الثلاثة التي أشرنا لها. حيث وافق الغالبية إلى حد ما - بحسب الدراسة - على اعتبار أن انخراطهم في العمل المدني هو انخراط مؤقت لأسباب عديدة، أبرزها هو عدم الشعور بالأمان الوظيفي بنسبة ٤٧% في دير الزور و ٤٥% في الرقة و ٤٦% في الحسكة، وهي نسب متقاربة جداً، حيث أن عمل المنظمات محكوم بمشاريع وتمويلات قصيرة الأمد، بالإضافة إلى أن البعض يعمل دون عقود عمل، ما يجعلهم يعيشون في هاجس البقاء بلا عمل. أما السبب الآخر فهو تحدي الاستمرار أمام المنظمات في وجه التغييرات السياسية والأمنية والعسكرية التي تتعرض لها المنطقة وغياب البيئة الآمنة والمستقرة، حيث يؤثر ذلك بشكل كبير على نشاط وعمل هذه المنظمات، فقد تتوقف

نتيجة لتهديدات عسكرية سياسية تجعلهم يتأهبون ويقومون بتعليق أعمالهم، مما ينعكس بالضرورة على أمانهم الوظيفي. عبّر أحد الناشطين المدنيين في مدينة الرقة عن ذلك بقوله:

"أحياناً يتوقف عملنا أو يتم تعليقه نتيجة تغريدة على تويتر من مسؤول سياسي أو رئيس دولة، كما حصل عندما غرد الرئيس ترامب بأنه سيسحب جنوده من المنطقة".

يعد تدخل سلطات الأمر الواقع بأشكالها المختلفة تحدياً كبيراً بالنسبة للناشطين، حيث تواصل التدخل والانتهاك وفرض قواعد وقيود على سلوك المنظمات والعاملين فيها بطريقة تنتهك حقوق الإنسان والقوانين الدولية، الأمر الذي دفع بالعديد من الناشطين المدنيين للمغادرة أو العزوف عن العمل المدني، حيث عبرت النسبة الأعلى من إجابات المشاركين في المناطق الثلاث عن موافقتها على أن المخاطر الأمنية تشكل المخاوف الأكبر في العمل مع منظمات المجتمع المدني، بنسب تتراوح بين ٢٥٪ و ٥٠٪. كما ويعتبر عامل التقييد من قبل سياسات المانحين تحدياً كبيراً أمام العاملين، حيث زيادة الاستقطاب السياسي وفرض بعض الجهات أجنداث معينة تتعارض مع مبادئ العمل المدني ومبادئ العاملين فيه. كل ذلك وغيره من العوامل يدفع بالعاملين في المنظمات المدنية للقلق على أمانهم ومستقبلهم المهني.

أما البعض الآخر عبّر- بحسب الدراسة- عن أن الانخراط في العمل المدني بالنسبة له غير مؤقت بل مرتبط بمستقبله المهني، فهذه المرحلة هي مرحلة تأسيس وتراكم في الخبرات وتشكيل قاعدة اجتماعية ومن ثم البناء عليها في المستقبل. فالنزاع لم ينته وآثاره الاجتماعية والنفسية والاقتصادية سوف تستمر لسنوات طويلة وبالتالي لا بد من الانتقال مستقبلاً لمرحلة أكثر عمقاً وفهماً لسياق المجتمع وحاجاته وتطبيق أفكار ملائمة للواقع السوري وتجنب الفجوات والمشكلات التي مرت بها تجربة العمل المدني.

حاولت الدراسة من جهة أخرى فهم تأثير العمل في منظمات المجتمع المدني على الحياة الاجتماعية للعاملين فيها، وكيف يتفاعل المجتمع مع عملهم. وافق المشاركون بالدراسة في كل من الرقة بنسبة ٥٠% ودير الزور بنسبة ٣٢% والحسكة بنسبة ١٨% على أن الانخراط في العمل المدني يؤثر إيجاباً/سلباً على علاقاتهم الشخصية والاجتماعية، فمن جهة يواجه البعض بعض مشاعر التوجس من المحيط بسبب حداثة هذا النوع من العمل في المجتمع وعدم معرفة الناس بماهيته، واعتقاد البعض الآخر بأن هذه المنظمات تحمل أفكار دخيلة عليه، مما يعرضهم للنقد والتساؤلات من المحيط، بالإضافة لعامل آخر يتعلق بطبيعة الأجور التي يتقاضاها العاملين والتي تسبب تساؤلات حول مدى استحقاتهم لها. إلا أن ذلك وفي سياق عمل مدني حديث نسبياً أمر لا بد منه ومن أن يمر بمراحل عديدة ليصبح مقبولاً ويشكل وعياً تراكمياً يؤسس لتغيير جوهري على كل المستويات. ولا شك أن عمل المرأة السورية والمطالبة بحقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية وتمكينها كان إحدى أبرز القضايا التي واجهت الكثير من التحديات المجتمعية، في محاولة منها لإعادة بناء علاقتها مع المجتمع من جديد. وعبرت عن ذلك موظفة تعمل في القطاع الثقافي في مدينة القامشلي:

"مع بداية عملنا واجهنا الكثير من الصعوبات والرفض من المجتمع فيما يتعلق بالمفاهيم الجديدة التي طرحناها خصوصاً إشراك المرأة في العمل المدني ودفعها نحو تمكين نفسها سياسياً. إلا أنه مع العمل التركمي أصبحت المرأة أكثر قوة وحضور في مجالات الحياة المختلفة".

من جهة أخرى وجد البعض الآخر أن هذه المساحات أثرت إيجابياً على حياتهم الاجتماعية، حيث ساهمت في خلق تواصل أكثر انفتاحاً على الآخر، خارج عن الاعتبارات الإثنية والعشائرية ومنحتهم فرصة التعرف على ثقافة الآخر القادم من مناطق جغرافية مختلفة في سوريا. إحدى العاملات في منظمة مجتمع مدني محلية في الرقة عبرت عن ذلك:

"وقّرت منظمات المجتمع المدني في حياتنا مساحات جديدة للالتقاء، حيث تجاوز الكثير منا الخلافات والاختلافات العديدة التي ترسخت على مدى سنين، كما أننا انفتحنا على علاقات جديدة مع أشخاص من أماكن جغرافية أخرى وصرنا أكثر تقبلاً. إنها فرصة لإعادة تشكيل هويتنا الوطنية الاجتماعية".

خاتمة:

بالنظر إلى ما سبق وإلى ما جاءت به نتائج الدراسة من اختلاف وتباين في الدوافع والتصورات المستقبلية التي عبّر عنها العاملين في استجابات لأسئلة مختلفة حاولت تناول جزء من قضاياهم المتعلقة بالعمل المدني، فإنه يمكننا القول بأن تجربة المجتمع المدني بما لها وما عليها، تجربة مازالت قيد التطور، تحمل خصوصية تختلف باختلاف المكان والزمان والبيئة القائمة فيها والعوامل الخارجية المؤثرة، وبالتالي فإن اختلاف تجارب العاملين الشخصية وتباين مواقفهم مرهون بشكل من الأشكال بالعوامل السابقة المذكورة.

وانطلاقاً من ذلك فإن هذا الاختلاف لا بد وأن يشكّل نقطة التقاء، يمكن البناء عليها عبّر إعادة النظر في آليات عمل هذه المؤسسات من جوانب عدة، أبرزها التعامل بجدية مع وضع موظفيها من النواحي الأمنية والقانونية، ومنحهم فرصة المشاركة باتخاذ القرارات التي تساعد على التخفيف من قلقهم وهواجسهم المستقبلية وتخفف من شعورهم بالاغتراب عن بيئة العمل وتعزز شعورهم بالانتماء لمبادئ العمل المدني. كما من المهم تزويدهم بشكل مستمر بالمهارات والتدريبات التي تساعد على أداء مهامهم بصورة أكثر فاعلية، والتأسيس لتجربتهم الخاصة بشكل يمكنهم في المستقبل من الإحاطة بحاجات المجتمع المحلي وسياقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.